

## مرثاة لأطفال الحولة

25-5-2012

آه على الأطفال ..  
آه على الأطفال !  
حين تطير أشلاؤهم طول الجبال ،  
وتجري الدماء طول القنال ،  
آه على البراءة ،  
آه على الدلال !

آه على ذئاب تقطع لحمنا الطري في أسوأ حال !  
على زعيم يغمض العينين ،  
وأخر يشد رباط حذائين ،  
وأخر منهمكاً في وصال ،  
آه على زمن اقتاده أنزال !  
آه ، وآه ،  
وآه ..

ما اسمك يا صاحب دم مشتعل واثب إلى صقيع حياتنا؟! ..  
وأنت يا صغيراً مرصعاً بثياب محمرة على تخوم مماتنا؟! ..  
اسمي طفل شهيد ! ..  
وأنت يا طفل ما اسمك ، قل لو استطعت حرفاً من بعيد؟! ..  
اسمي طفل شهيد ! ..  
وأنت ، يا من أبقيت عيناً مفتوحة ، كأنك تسخر منا ، أ أنت طفل عنيذ؟! ..  
اسمي طفل شهيد ! ..  
ما اسمكم جميعاً؟! ..  
طفل شهيد ..  
طفل شهيد ..  
طفل شهيد ! ..

يا صاحبي الطفل الشهيد ! ..  
يا رقيقاً في دروب الموت ، وفي دهاليز الحياة ،  
يا حرفاً في صلاة ،  
من سوء حظك أنا دعوناك في وقت غير مناسب ،  
كي تعيش مأساة ،  
فسامحنا يا أخانا الصغير ، أو اشتمنا لو أردت ،

أو اغفر لنا البشاعة ،  
عندنا ما يكفي من صفات ،  
وطرٌ بعيداً .. بعيداً .. مع طيور وغيوم ،  
نحفظ ذكراك في الرفاة !  
نظمرها تحت ترابنا ، كما نظمر كنزاً في يوم رهيب ،  
ستطلع لا بدّ مع ورد الربيع ، واثباً من جذور الشجر ،  
راقصاً على أوراقه الخضر ، مبيلاً مع الثمر ،  
تلقي للفراش قبلةً ، وغمزاً للقمر ،  
وتتنابنا غصةً ،  
نسألُ ، هل نمضغ الغلال ؟!  
أم نحن من أكلي لحم البشر ؟!

آه على ذنابٍ تقطّع لحمنا الطريّ في أسوأ حالٍ !  
على زعيمٍ يغمضُ العينين ،  
وأخرَ يشدُّ رباط حذاءين ،  
وأخرَ منهمكاً في وصالٍ ،  
أه على زمنٍ اقتاده أنذالٌ !  
أه ، وآه ،  
وآه ..

أه على شعبي علق إيقونةً على مزابلٍ ،  
فماذا يقول قائلٌ ؟!  
أنا وحوش في جلاجلٍ ،  
خرجنا إلى الدنيا بأنياب حيتانٍ نلتهم الصغار نشدُّ أزرَ المخائل ؟!  
نغوصُ في دياحي البحار ؟!  
ولا شيءٍ يثبينا ،  
لا شيءٍ يغيبنا ، تنزّ أقدامنا مسائلٍ ،  
يشعلُ أفكارنا هوسُ القنصِ ،  
يكمنُ خلفَ الجدارِ ،  
على السطحِ جائلٍ .

آه على الذنابِ تقطّع لحمنا الطريّ في أسوأ حالٍ ،  
ونرى كومة الأشلاء !  
نتساءلُ !  
ما عسى يكونُ غدٌ في حمى هذي القبائل ؟!  
أيّ أملٍ باقٍ لنا يرجى ؟!  
أيّ حبٍّ تركوه ؟!  
أيّ شيءٍ قدروه ؟!  
آه على الأطفالِ ..  
آه على النساءِ ..  
آه على الرجالِ !..